المحور السادس: النضال المغاربي المشترك 1916 – 1955م مساره ومآله:

1: النضال المغاربي المشترك من 1916 – 1939م:

لاشك أن عامل الاستعمار الأوربي لبلدان المغرب العربي كان من العوامل الطارئة التي زادت في تماسك أهالي المنطقة، وفي حتمية الوحدة وبروز النضال المشترك، فما هي مظاهر تبلور الوعي النضالي المغاربي المشترك؟

أولا: إرهاصات النضال الوحدوي المغاربي مطلع القرن 20م: عرف النضال المغاربي المشترك أشكال متعددة ومختلفة ما بين عمل صحفي مشترك وتشكيل جمعيات ولجان، ففي المجال الصحفي هناك عدة نماذج أكدت النضال المغاربي المشترك ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

علي باش حامبة الذي أسس جريدة "التونسي"، والتي لاقت بعد صدورها عام 1907م رواجا كبيرا، بحيث تجاوز صداها حدود تونس إلى الجزائر، ولقد سعى باش حامبة رفقة الشيخ عبد العزيز الثعالبي من خلال جريدة "التونسي" إلى التنسيق على مستوى المقالات التي تصدر بالجرائد التونسية والجزائرية وهذا قصد التعريف بالمشاكل في البلدين، والتصدي إلى الحملات الاستعمارية المغرضة.

كما يعتبر الجزائريان عمر راسم وعمر بن قدور من أوائل الوطنيين المغاربة الذين رفعوا شعار الوحدة المغاربية مطلع القرن 20م، فالأول شارك بقلمه في الصحف التونسية بمقالات ثورية، أما الثاني فقد دعا صراحة إلى الاتجاه الوحدوي المغاربي، حيث كتب في عدة صحف مشرقية ومغاربية، عالج فيها بدقة قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي فيما بين 1906 – 1912م. كما عالج القضية الطرابلسية (ليبيا) والمراكشية والأحداث التونسية، فضلا عن قضية وطنه الجزائر، وذلك في الصحف المشرقية ك "اللواء" و"الحضارة" الصادرة بإسطنبول.

ولنشر أفكاره أصدر عمر بن قدور جريدة "الفاروق" الأسبوعية في 18 فيفري 1913م، التي كانت بعمرها القصير زاخرة بالصور النموذجية لما يمكن أن تكون عليه وحدة الشعور بين أبناء المغرب العربي، بإنتاج الأدباء والكتاب من التونسيين ومغاربة مراكشيين وليبيين في إطار تسامح أخوي وتكاتف في مواجهة الاستعمار.

وهكذا فإن الصحافيين الجزائريين بن قدور وزميله راسم قد رسما دربا للوحدة الفكرية في مطلع القرن 20م، وتأكيدا لهذه الغاية اندفع الصحفيون والمفكرون حينها لمعاضدة إخوانهم الجزائريون، وخاصة الصحفيين التونسيين الذين كانوا يعاضدون جريدتي "ذو الفقار" و"الفاروق" بالجزائر. فكان من أوائل من سارع بالكتابة في "الفاروق" الصحافي التونسي الطيب بن عيسى، وتبعه أخرون أمثال: الصادق الرزقي والكاتب والصحفي حسين الجزيري وإبراهيم فهمي بن شعبان، وأحمد توفيق المدني. وقد بقي هؤلاء وغيرهم يكاتبون جريدة "الفاروق" إلى غاية مصادرتها سنة 1915م.

وبعد عملية التوسع الاستعماري التي شملت بلدان المغرب العربي، انتقل النضال الوحدوي مع المغاربة للمهجر فكانت بداياته في المشرق العربي الإسلامي، وذلك راجع لهجرة الكثير من المغاربة. حيث استقر جلهم في بلاد الشام أو بإسطنبول والقاهرة والإسكندرية وبغداد ومكة المكرمة، ومن تلك الحواضر العربية الإسلامية بالمشرق فكر المغاربة في بلدانهم وسبل تحريرها، فمن اسطنبول عاصمة الخلافة انطلقوا مهاجرين ومجاهدين إلى الدول الأوربية ولا سيما ألمانيا وسويسرا. وكان في مقدمة النخبة المغاربية المهاجرة علي باش حانبة الذي وصل منفيا إلى اسطنبول سنة 1912م، على اثر حوادث التراموای بتونس في مارس 1912م. وهناك وجد بيئة جديدة لاستئناف نشاطه السياسي وعمله على خدمة القضية التونسية خصوصا والمغاربية عموما، بمقالاته التي كان يكتبها في الجرائد العثمانية ويدعوا بها لمناصرة المغرب العربي وتحريره، ومن أعمال المهاجرين المغاربة في المهجر تكوين جمعيات مغاربية نذكر منها:

"**جمعية الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين**": التي تأسست بإسطنبول سنة 1910م، اقتصرت مهمتها على تقديم المساعدة للمهاجرين والتوسط لهم لدى الحكومة العثمانية، وتشجيعهم على الهجرة.

"**الاتحاد المغربي (المغاربي)**: تأسس بالقاهرة سنة 1911م، ومن أهدافه إثارة المغرب العربي في حالة نشوب صراع فرنسي ألماني مسلح، والوقوف في وجه فرنسا بالمغرب الأقصى.

"**جمعية الشرفاء**": أسسها الشيخ المكي بن عزوز بالمدينة المنورة سنة 1913م، كان من أهدفها إثارة الجنوب الجزائري، فخلال أحد اجتماعاتها الذي حضره مغاربة من الجزائر وتونس ومراكش، تقرر إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعية.

ويبدوا أن هذه الجمعيات كانت تسعى لأهداف مشتركة واحدة وهي الدعاية والعمل لتحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار وخدمة الخلافة الإسلامية ومساعدة المهاجرين المغاربة، وقد تعاظم نشاط هذه الجمعيات منذ وصول علي باش حامبه إلى اسطنبول، وانصهرت جميع هذه الجمعيات في حركة جماعية مغاربية واحدة خلال الحرب العالمية الأولى.

وتشير المصادر التاريخية والكتابات التي تناولت موضوع وحدة المغرب العربي إلى أن المناضلين التونسيين وخاصة الاخوة باش حامبة كانا وراء الدعوة لوحدة المغرب العربي، ومن أهم أعمالهم لصالح القضية المغاربية في الخارج نذكر:

- **لجنة تحرير المغرب العربي في استانبول 1916م:** أسسها علي باش حانبة بعد نفيه من تونس من طرف الاستعمار الفرنسي عام 1912م، حيث فانضم إلى **لجنة الوحدة والتقدم التركية**، وقاد باش حانبه دعاية كبيرة من استانبول ضد الحضور الفرنسي في تونس والجزائر، كما أسس سنة 1916م في استانبول لجنة "**تحرير المغرب العربي**".

لجنة استقلال الجزائر وتونس: تأسست في برلين في 7 جانفي 1916م من الجزائريين والتونسيين، برئاسة صالح الشريف واسماعيل الصفايحي ومحمد مزيان التلمساني، وهي فرع من اللجنة التي أسسها علي باش حامبة في استانبول في نفس السنة، ولقد تمثلت مهمتها في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، وكانت هذه اللجنة مؤيدة من طرف الدولة العثمانية وألمانيا ولذا قامت بحملة دعائية واسعة تثقيفية ووطنية ضد فرنسا، حيث شجعت هروب جنود إفريقيا الشمالية من الجيش الفرنسي، وعملت على استقبالهم وتكوينهم الفكري، ثم أرسلت بهم إلى بلادهم للثورة أو للمحاربة مع الدولة العثمانية في الشرق الأدنى. كما كانت أعمال "لجنة استقلال الجزائر وتونس" ونشاطاتها تبرزها مجلة "**المغرب**" الناطقة باللغة الفرنسية.

فأصبحت تلك المجلة مركز نشاطات الوطنيين الجزائريين والتونسيين، ففي عددها الثاني كتب أحد الجزائريين قائلا:" إننا جزائريون مسلمون، وسنبقى جزائريين مسلمين"، وذلك ردا على الفرنسيين الذين ادعو بأن الجزائريين كانوا رعايا فرنسيين. وفي سبتمبر 1918م نشرت "**مجلة المغرب**" مذكرة أرسلت إلى مؤتمر السلام في باريس تطالب بتقرير المصير لإفريقية الشمالية.

ومن أهم الأعمال التي قامت بها اللجنة وجماعة "مجلة المغرب" هو أن وفدا باسم "لجنة استقلال الجزائر وتونس" شارك في أشغال المؤتمر الثالث للقوميات والمنعقد بلوزان بتاريخ 27 جوان 1916م، وقدموا عريضة مطالب الشعب الجزائري – التونسي، تضمنت الوضعية المزرية للشعبين وإلى طبيعة النظام الاستعماري المسلط على البلدين، وانتقدت بشدة النعم التي يحظى بها المعمرون، وقالت العرضة: "إننا لا نلتمس معروفا ولا امتيازات، لكننا نطالب بحقوقنا وحرياتنا"، كما طالبت العريضة بجملة من المطالب منها: إزالة القوانين الخاصة والمطالبة بالضمانات الدستورية والاصلاحات الضرورية وطالبت بالتعليم الابتدائي الإجباري باللغة العربية والمساواة السياسية والقضائية والضريبية في النفقات والعوائد. وهذه المطالب التي قدمتها لجنة استقلال الجزائر وتونس إلى مؤتمر القوميات، اتخذتها "مجلة المغرب"

كمطالب لها، كما قدم محمد باش حامبة مطالب عن الشعوب العربية والإسلامية المحتلة في هذا المؤتمر، منها أنه أخبر المؤتمرين بأن الجزائريين الذين أصبحوا فرنسيين بعد 80 عام من الاحتلال الفرنسي لا يتعدون 500 أو 600 شخص، وقد طالب محمد باش حانبة باسم القومية بالحكم الذاتي لكل إفريقيا الشمالية.

كما أن **لجنة استقلال الجزائر وتونس** لجأت خلال فترة الحرب إلى الاعتماد على نفسها وعلى الهيئات الدولية والدول الحيادية مغيرة من لهجة مطالبها التقليدية الإصلاحية إلى المطالبة بالاستقلال في إطار الخلافة العثمانية، ولذا أصدرت اللجنة نشرية بعنوان" "شكاوى الشعوب المضطهدة: تونس والجزائر"، وطالبت "بالاستقلال الكامل والفوري".

كما تنوعت نشاطات "لجنة استقلال الجزائر وتونس" وتعددت إلى جبهات أخرى منها: حرب النشريات والمنشورات التي طبعوها في أوربا، وكانت تهرب إلى بلدان المغرب العربي والعالم الإسلامي، بهدف تجنيد كل المسلمين في المشرق أو المغرب العربيين، كما نشرت بعض النشريات في الصحف السويسرية، والصحافة الناطقة بالفرنسية بأوربا، وطالبت في غالبيتها بتحرير المغرب العربي في إطار الخلافة الإسلامية.

ومن بين النشريات التي أصدرتها اللجنة نشرية بعنوان: "شرح دسائس الفرنسيين ضد الإسلام وخليفته" للشيخ صالح الشريف، وهو كتيب ظهر بستانبول عام 1915م كرد على ما نشرته جريدة "الماتين" في 10 نوفمبر 1915م في مقال دعائي لصالح فرنسا، بعنوان " الإسلام والحرب"، حيث فند صالح الشريف في كتيبه ما جاء في ذلك المقال وشرح معنى الخلافة في الإسلام مدافعا عن الخلافة العثمانية وتحالفها مع ألمانيان ناقما على الدول الحليفة التي استعمرت أجزاء من العالم الإسلامي، ولقد استمرت حرب النشريات التي خاضتها لجنة استقلال الجزائر وتونس، ففي سنة 1917م صدرت نشرية بعنوان: "نداء لجنة استقلال الجزائر وتونس" و "شكاوى الشعوب المضطهدة: تونس والجزائر".

- **اللجنة التونسية الجزائرية:** أسسها محمد باش حامبة في برلين أواخر 1918م، متكونة من صالح الشريف ومحمد مزيان التلمساني ومحمد الخضر حسين ومحمد الشيبي التونسي ومحمد براز الجزائري وحمدان بن علي الجزائري ومحمد باش حامبة، حيث أرسلت هذه اللجنة برقية إلى الرئيس الامريكي ويلسن أثناء مروره بروما بتاريخ 2 جانفي 1919م، ومما جاء فيها هو المطالبة بالاستقلال التام وتحرير المغرب العربي ككل، كما طالبت بتطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها، ونددت بالسياسة القمعية التي تمارسها القوى الاستعمارية في بلدانهم. وبعد ذلك أرسلت اللجنة إلى مؤتمر السلام عريضة طويلة قبل انعقاده في فرساي في 18 جانفي من نفس السنة، تحمل نفس المطالب.

ثانيا: العمل المغاربي المشترك في فترة ما بين الحربين:

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وانهزام الدولة العثمانية دخل المغاربة مرحلة نضالية أكثر تنظيما، حيث تحول نضالهم من استانبول إلى العواصم الأوربية وذلك بهدف التعريف بقضيتهم المغاربية، وكشف جرائم فرنسا أمام الهيئات الدولية. ولقد تمخض عن التواصل والترابط بين المغاربة تأسيس العديد من الجمعيات والأحزاب السياسية ذات الطابع الوحدوي خلال العشرينات من القرن العشرين.

وكان في طليعة هذه الأحزاب والجمعيات الوحدوية نذكر:

نجم شمال إفريقيا: الذي كرس من المهجر فكرة الوحدة بين الأقطار المغاربية الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب الأقصى)، وهذه الخطوة تعد بداية التجسيد التنظيمي والهيكلي لفكرة الوحدة النضالية المغاربية من الناحية السياسية، مع أن النجم في بدايته كان عبارة على هيئة إغاثة للمغاربة، ثم تحول سنة 1926م إلى جمعية سياسية تعمل من أجل الدفاع عن كيان المغرب العربي وتطالب بحقوقه.

فقد نشأ نجم شمال إفريقيا وحدويا مغاربيا بأصوله وأهدافه ويظهر ذلك في أول نص لبرنامجه ما يؤكد مغاربيته: «... فهو جمعية لمسلمي المغرب والجزائر وتونس، تأسست في باريس طبقا للقوانين المصادق عليها في الاجتماع العام المنعقد يوم الأحد 20 جوان 1926 ...» ويضيف « .. ونهدف إلى الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا وتربيتهم اجتماعيا وسياسيا".

وفي بطاقة الانتماء للعضوية ما يؤكد الاتجاه الوحدوي للنجم، حيث كانت تحتوي على العبارة التالية: « أيها المسلمون الجزائريون ومراكشيون –مغاربة– وتونسيون، فلنتحد ... لنكون كتلة متضامنة حول نجم إفريقيا للدفاع عن مصالحنا وعن تحررنا، وأن الاتحاد وحده هو الذي يصنع القوة ».

لقد طالب النجم منذ تأسيسه بالاستقلال التام لبلدان المغرب العربي كلها، وشارك النجم في مؤتمر بروكسل ضد الاستعمار الذي انعقد ما بين 10 و 25 فيفري 1927م، ومثل النجم في هذا المؤتمر مصالي الحاج بصفته الكاتب العام للنجم والشاذلي خير الله من تونس، فقدم الأول مطالب الجزائر والمغرب وقدم الثاني مطالب تونس، وهذا ما يؤكد مغاربية النجم، ولذلك نجده يضم بين صفوفه ممثلين عن الأقطار المغاربية الثلاثة، ودعاهم للنضال من أجل وحدة المغرب العربي.

وقد دافع النجم عن مبادئه المغاربية من خلال النشريات والمنشورات ومن خلال الصحافة، كما انتهز المناسبات الدينية والوطنية للتعبير عن أفكاره ومبادئه، إذ لا تمر مناسبة إلاَّ وعقد النجم تظاهرة صاحبتها الخطب والكلمات والصرخات باسم وحدة شمال إفريقيا، ويحيا الشمال الإفريقي واستقلال شمال إفريقيا.

وإهتم النجم منذ انطلاقته بالصحافة والمنشورات والمراسلات، وكانت الصحافة وسيلة للدعاية والتعريف والتوجيه والتنوير، وكانت الصحيفة أحيانا تمثل برنامجا ومركز انطلاق كجريدة

"**الأمة**" التي أصدرها النجم في أكتوبر 1930م أثناء فترة حله، حيث إلتف حولها مناضلوه. ومن الجرائد التي أصدرها النجم نذكر جريدة "**الإقدام الباريسي**" باللغتين الفرنسية والعربية، حيث حملت اسم جريدة "الإقدام" التي كان الأمير خالد كان قد أصدرها بالجزائر، حيث صدر منها ثلاثة أعداد ما بين أكتوبر 1926م وفيفري 1927م، وتذكر بعض التقارير أنها كانت عبارة على دعوة للثورة ضد فرنسا، إذ عنونت أحد أعمدة عددها الثاني المؤرخ في ديسمبر 1926م – جانفي 1927م: "ضد الإمبريالية الفرنسية، من أجل استقلال شمال إفريقيا"، وموضوع أخر ب: " لا للنير الفرنسي: يلزمنا الاستقلال"، واحتوت في عددها الثالث فيفري 1927م برنامج النجم في أربعة صفحات باللغة الفرنسية وصفحتين باللغة العربية بلورته حول هدفها الأساسي المتمثل في التحرر من النير الاستعماري، وتحت عنوان: "هدفنا الوحيد الاستقلال الوطني، الأمل السامي والسلام الأسمى"، أوضح من خلاله رئيس النجم الشاذلي خير الله أن جمعيتهم تضم كل المسلمين المغاربة في بلدان إفريقية الشمالية الثلاثة، وأنهم مصممون على مواصلة الكفاح من أجل الاستقلال.

ولقد عوض النجم "الإقدام الباريسي" بجريدة أعنف منها سماها "الإقدام الشمال – الإفريقي" والتي صدرت لها ثلاث أعداد فقط ما بين ماي وسبتمبر 1927م، فقد دعت في أحد أعدادها إلى استقلال البلدان المغاربية الثلاثة قائلة: «إن استقلال بلد من هذه البلدان لا يتم إلاَّ بمؤازرة البلدين الأخرين له، يجب أن يهتم كل بلد من هذه البلدان باستقلال البلدين الأخرين، فمن الواجب إذن توحيد جهود الحركات لاستقلال البلدان الثلاثة... ولا يتأتى ذلك بتنسيق الجهود فحسب، انما بالروابط الصادقة والعلاقات الأخوية المتينة، وبالمؤازرة المادية والمعنوية الحقيقية المتبادلة، حتى ينتصر الكفاح من أجل استقلال شمال إفريقيا».

وصدرت الإقدام للمرة الثالثة بعنوان "اقدام نجم الشمال الإفريقي" ما بين ديسمبر 1927م وجويلية 1928م، واهتمت بقضايا المغرب العربي والدعوة إلى استقلاله ووحدته، ففي عددها الأخير أصدرت بيانا من خلال أعمدتها، تدعو فيه المغاربة إلى الوحدة والتجند

ضد حرب المغرب الأقصى قائلة: «اخواننا الشمال أفارقة، لننظم أنفسنا في جبهة واحدة ضد الامبريالية، وكرجل واحد ضد الحرب في المغرب الأقصى، ومن أجل استقلال بلداننا».

أما عن جريدة "الأمة" فقد جاء في عددها الأول مقال بعنوان: "الإرادة" انتهى بنداء يقول: «إلى إخواننا المغاربة في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، عليكم بتنظيم أنفسكم لانتزاع حقوقكم الاجتماعية بالقوة وإزالة نير العبودية». وأما عن التضامن المغاربي، فقد ورد عن "الأمة" سبتمبر 1931م بإمضاء مصالي الحاج ما يلي: «أن وحدة ووفاق العناصر الوطنية الثورية الثلاثة: المراكشيون والتونسيون والجزائريون ستؤدي لا محالة بالمغرب الأقصى وتونس والجزائر إلى طريق الاستقلال». وفي مقال أخر بإمضاء التونسي الحبيب الزيتوني في عدد جانفي – فيفري 1932م جاء فيه: « أيها التونسيون، أيها المراكشيون والجزائريون، توحدوا، ولتكن بيننا الثقة، لنعمل جميعا يدًا من أجل انتزاع حريتنا».

وعلى الرغم من قصر مدة تجربة نجم الشمال الإفريقي 1926 – 1937م، فقد مثلت واحدة من المحطات المهمة في سيرورة العمل المشترك والتنسيق بين الحركات المغربية الثلاث.

ومما يؤكد ذلك رسالة موجهة إلى مواطني المغرب الأقصى من قبل الكاتب العام للنجم وهو الجيلالي شابيلا بتاريخ 7 سبتمبر 1927م يبين فيها إصرار هذا التنظيم على التقريب بين الحركات الوطنية الثلاث وتوحيد نشاطها النضالي في مجال الدفاع عن كل ما له صلة بمقومات الهوية ووجود المغاربة، وابراز طبيعة الاستعمار وأساليبه فقال: "لم يكتف الاستعمار الفرنسي بسلب حرية مواطني شمال إفريقيا ونهب ممتلكاتهم وأراضيهم، بل قام بتسخيرهم كالعبيد، وأماتهم بعشرات الألاف في حروب استعمارية.." ليضيف: "فأمام هذه الوضعية، يبدو موقف مواطني شمال إفريقيا واضحا، فإما أن يستكينوا تاركين الاستعمار يفعل بهم ما يشاء، وفي هذه الحالة ستكون النتيجة انقراض جنسهم، وإما أن يستيقظوا من

سباتهم، ويستعدوا لاسترداد كل حقوقهم وحريتهم السليبة ... لقد حان الوقت لنضع حدا للعمل المتعارض مع مصلحتنا المشتركة، المتحامل على ديننا الجميل...".

ومنذ سنة 1927م أصبحت أدبيات ومنشورات النجم تحمل "مبدأ الاستقلال لكل شمال إفريقيا"، وأصبحت المادة الثالثة في القوانين الأساسية للنجم تنص على ما يلي: « من أهداف الجمعية الأساسية، تنظيم الكفاح من أجل استقلال بلدان إفريقيا الشمالية الثلاثة، وبفضل النشاطات يجب توسيع وحدة الحركة الوطنية الثورية لشمال إفريقيا».

وعلى الرغم من انسحاب المراكشيون والتونسيون من النجم ابتداء من سنة 1927م، بدعوى أن قضيتهم لا يمكن ربطها بالقضية الجزائرية، وتوجه النجم لمعالجة القضايا الجزائرية، لكن هذا لم يمنع النجم من تمسكه بأهدافه المغاربية، والوقوف إلى جانب إخوانه المغاربة، ومما يؤكد ذلك بيان صدر عن النجم بتاريخ 1927م بعد انكسار حرب الريف 1926م شدد فيه على دناءه الاستعمار الذي أقحم الجزائريين والتونسيين في حرب ضد إخوانهم في الدين بالمغرب الأقصى ودعا إلى تماسك الصف ووحدة الكلمة، وحثهم على عدم التعاون مع الاستعمار، فختم دعوته بقوله: «وحدوا وجسدوا حركتكم، لتكن لكم قيادة واحدة، احتاطوا من ضباط الاستعلامات ومخبريهم، إن الإمبريالية تسعى لسلب أراضيكم، قاوموا من أجل المحافظة عليها... فمزيد من الشجاعة والثبات نحن الشعوب المضطهدة لشمال إفريقيا، الذين نطمح مثلكم إلى استقلالنا ... فحتى بفرنسا يتزايد الدعم لكم بداخل السكان الواعين الذين سبق لهم أن قاوموا المحاولات الامبريالية بالريف، لتناهض جميعا الامبريالية سواء كانت فرنسية أو اسبانية، لنكن رجلا واحدا ضد حرب المغرب ومع استقلال هذا البلد، ليحي استقلال المغرب، وليعش الشمال الإفريقي حرا ...».

ولكي يعمق ويوسع النجم من عمله في هذا الشأن وزع منشورات في جوان 1927م تحت عنوان:" **إلى إخواننا في المغرب والجزائر وتونس**" ودعاهم فيها إلى الوحدة وحثهم على عدم التعاون مع الاستعمار، وفي سنة 1928م نشر منشورات أخرى بعنوان:" **من أجل استقلال**

إفريقيا الشمالية"، ودعا جميع سكان المغرب العربي أن ينشئوا "**جبهة واحدة معادية للاستعمار**".

ونتيجة للمبادي الثورية التي تبناها النجم منذ سنة 1927م تعرض إلى الحل من طرف السلطات الفرنسية سنة 1929م، وإلى عمليات القمع والتعسف وتعرض مناضلوه إلى السجن والنفي والمتابعة القضائية.

وقد شكلت سنة 1933م تاريخا هاما في مضمار تعميق نجم الشمال الافريقي استقلاليته، ولحظة مهمة في ميدان انضاج موضوع الدفاع عن شخصية وهوية المغرب العربي، باعتباره القاسم المشترك لنضال حركاته الوطنية، ومما يؤكد ذلك هو البرنامج الذي قدمه النجم في أعقاب انعقاد جمعيته العمومية بتاريخ 28 ماي 1933م، وكذا قوانينه الداخلية حيث اعتبر مبدأ استقلال أقطار المغرب العربي شعارا لا رجعة عنه، كما جعل من التنديد بالاستعمار وكشف أساليبيه محور النضال المشترك للحركات الوطنية الثلاث.

ومنذ سنة 1935م شرع النجم في توسيع نشاطه النضالي وذلك بالعمل على توطيد علاقات التضامن والتعاون والتنسيق مع الحركات الوطنية المغاربية الأخرى، ولهذا الغرض تم إنشاء "لجنة تواصل" بين حزب النجم والحزب الدستوري الجديد التونسي وحزب الاستقلال، وذلك من أجل توحيد برنامجهم النضالي.

وعند وصول الجبهة الشعبية لسدة الحكم بفرنسا وانتصار اليسار الفرنسي في انتخابات جوان 1936م، استغل نجم الشمال الافريقي هذه الفرصة في نضاله الوحدوي وتقدم لها بما سماه المطالب المستعجلة في فيفري 1936م باسم البلدان المغربية الثلاثة. ومما جاء فيها: «ومما يجب الإشارة إليه هو أن مطالبنا تستهدف تخويل المغاربة الجزائريين والتونسيين حرية تكوين الجمعيات والتعبير باللغتين العربية والفرنسية، بشكل يسمح لهم شرعيا بالتعبير عن مظالمهم وأمالهم المشروعة، وهذه، تعتبر بالنسبة للمواطنين ليس مجرد رغبة ملحة، بل

شرطا ضروريا لكل عمل يروم التفاهم المتبادل، وتطبيقا عادلا، مطابقا للمبادئ التقليدية التي ورثتموها من الثورة، والتي يجب أن تظل مرشدا لعلاقاتكم مع الشعوب المستعمرة ...».

كما طرح النجم جملة من المطالب ذات الصبغة السياسية والاجتماعية واقترح سلسلة من الإصلاحات، من ذلك دعوته إلى إلغاء: الظهير البربري بالمغرب الأقصى، وقانون الأهالي والقوانين الغابوية بالجزائر، وأيضا مطالبته بالعفو الشامل عن كل المبعدين والمنفيين والمعتقلين السياسيين المنتمين لمختلف الأحزاب، كما دعى إلى تمتيع المواطنين بالحريات الديمقراطية الضرورية، كحرية الصحافة والتجمع، وتشكيل الجمعيات، والتفكير والحريات النقابية، والمساواة مع الفرنسيين أمام الخدمة العسكري. أما اجتماعية فقد شدد النجم في مطالبه تحسين الظروف المعيشية والصحية والتعليم، هذا وقد طالب البرنامج بإصلاحات متنوعة توزعت بين الدعوة إلى رفع الحصار عن كبريات المدن المغربية كفاس ومراكش ومكناس، وحذف المناطق العسكرية بجنوب تونس والجزائر، وإنهاء التبشير الديني بشمال إفريقيا، وأيضا تعديل وتحسين نظام السجون.

ولقد شارك في وضع هذه المطالب إلى جانب النجم لجنة الدفاع عن المصالح المغربية (المراكشية) ولجنة الدفاع عن الحريات في تونس، وهذه الاخيرة كانت بقيادة سليمان بن سليمان والهادي نويرة، وهما من الحزب الدستوري التونسي الجديد، وكانا خلال هذه السنة في باريس ونشطان بالنجم ويدافعان عن أهدافه.

لكن النجم لم يتلقى أي صدى من حكومة الجبهة الشعبية، بل سرعان ما تعرض للحل من طرف نفس الحكومة، وذلك نتيجة لنشاط النجم الواسع وتخوف الادارة الفرنسية منه ولذا قامت بحله في مطلع سنة 1937م، وقرار الحل هذا أثار موجة احتجاج واستنكار من عدة جهات، ففي المؤتمر الذي عقده الدستور التونسي عام 1937م عبر فيه الحبيب بورقيبة الكاتب العام للحزب في باريس لمصالي الحاج عن تضامنه مع حزبه ومع القضية الجزائرية.

وحتى بعدما حل النجم في 26 جانفي 1937م وقام على أنقاضه حزب الشعب الجزائري في 11 مارس من نفس السنة، لم يتخلى هذا الأخير وحافظ على علاقته بالوطنيين المغاربة في تونس ومراكش وبمساعيه الوحدوية قبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها وبعدها.

وقد عبر حزب الشعب الجزائري عن بعده الوحدوي من خلال جريدة "الأمة" التابعة له، والتي كتبت في إحدى مقالاتها: «... إن وطننا هو المغرب العربي، ونحن مخلصون له حتى الموت، وإذا كانت إرادتنا في العيش أحرار تعد معاداة لفرنسا فنحن معادون لفرنسا، وسنكون كذلك للأبد».

وفي إطار الدعوة إلى الوحدة وجهت مجموعة من مناضلي حزب الشعب في شهر أفريل 1937م من خلال جريدة "الأمة" لأبي اليقظان أمضاه مفدي زكريا جاء فيه: « نداء إلى إخواننا الوطنيين بالمغرب الأقصى» حيث ناشدوا فيه "أبطال الكتلة الوطنية" (كتلة العمل المغربية) قائلين: «يعز علينا أن نراكم منقسمين منشقين، في وقت أصبحنا نبني فيه دعائم لوحدة شمال إفريقيا كلها» ومحذرين من الشقاق الذي هو في خدمة المستعمر، وناشدوهم بمقولة: « أن تتحدوا وتتسامحوا وتتصافحوا وتنظموا صفوفكم كوحدة مرصوصة».

وعندما رجع الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس من المهجر استبشر حزب الشعب الجزائري، وكتبت جريدة "الشعب" في عددها الأول بتاريخ 27 أوت 1937م مقالا تحت عنوان: "زعيم الامة يوحد صفوفها"، وقالت الجريدة أيضا .بأن لها: « وطيد أمل وعظيم ثقة في رجل يدع لوحدة الشمال الأفريقي».

ورغم القمع الاستعماري المسلط على رجال الحزب واصل هذا الأخير عمله الوحدوي المغاربي من سنة 1937م إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، بشكل علني وسري، حيث إلتف مناضلوه فيما بين 1937 – 1939م حول جرائد حزبهم كجريدة الأمة أو الشعب أو البرلمان الجزائري، وعندما كانت السلطات الفرنسية تلاحق هذه الجرائد وتصادرها، كان

مناضلوا الحزب يتوجهون بمقالاتهم إلى جرائد تونس لاسيما جريدة "تونس الفتاة" أو جريدة "العمل" أو "العمل التونسية"، وعالجوا في أعمدة صفحاتها عدة قضايا تتعلق بالجزائر أو بالمغرب العربي ككل. كما رحبت جريدة "البرلمان الجزائري" في ماي 1939م بصدور جريدة "العمل الشمال الأفريقي" التونسية الصادرة بتاريخ 8 ماي من نفس السنة، وتمنت لها الاستمرار وقالت: « إن توحيد الأعمال هو الذي يمكن الشمال أفارقة من استعاد وطنهم المغرب العربي»، وطالبوا بإطلاق سراح المساجين السياسيين وفي طليعتهم الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي ومصالي الحاج من خلال نداءات، كنداء جريدة "الأمة" بتاريخ 25 نوفمبر 1938م، وفضحوا الأطماع الاستعمارية الجديدة، كمطالبة ايطاليا بتونس، إذ كتبت جريدة "الأمة" في 15 ديسمبر 1938م قائلة: "إن حزب الشعب الجزائري سيدافع عن المغرب العربي"، ولا يمكننا أن نفرط في حفنة واحدة من تراب مغربنا الطيب.

وخلاصة ذلك ما قالته جريدة "الأمة" في عددها الأخير أوت 1939م: «إن أفريقيا الشمالية لا ترتبط بفرنسا بأي شعور سوى الحقد الدفين في قلوبنا، الذي خلفه استعمار قرن من الزمن، باسم الجمهورية الفرنسية يخضع 60 مليون نسمة للعبودية الدنيئة، إن وطننا هو المغرب.. ونحن فداه حت الموت».

وعقب الحرب العالمية الثانية أصبحت فكرة الحزب هي بعث جبهة لوحدة النضال على مستوى المغرب العربي، ولذلك أرسل وفدا إلى تونس بداية شهر ماي 1945م للتحاور حول وحدة العمل مع أعضاء الحزب الدستوري الجديد والقديم، واستمرت الاتصالات خلال سنتي 1945 – 1946م، وفي نفس الفترة كانت الاتصالات جارية عن طريق وفد أخر مع أعضاء حزب الاستقلال بالمغرب الأقصى، وذلك قصد التنسيق على مستوى المغرب العربي بغرض وحدة النضال من أجل الاستقلال.

مراجع الدرس الثاني عشر:

- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط 3، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- أحمد بن جابو: المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830 – 1954)، أطروحة مقدمة لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، قسم التاريخ والأثار، جامعة لأبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010 – 2011م.
- امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت – لبنان، 1994م.
- بلقاسم بولغيتي: لجنة تحرير المغرب العربي واسهاماتها في وحدة الكفاح المغاربي 1948 – 1956، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد حوتية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، الجامعة الأفريقية، أحمد دراية، أدرار.
- رضا ميموني: وحدة الكفاح المغاربي في أيديولوجية حركات التحرر الوطنية 1947 – 1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: لمياء بوقريوة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة باتنة، 2019 – 2020م.
- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م.
- محمد بلقاسم: وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910 – 1954، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، ط 1، ج1، ج2، 2013م.
- محمد علي داهش: دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي.
- معمر العايب: مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م.
- مومن العمري: شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2009 – 2010م.